الذنب سبب دخوله الجنة ويعمل الحسنة فلا يزال يعجب بها على ربه ويتكبر بها
ويرى في نفسه ويعجب بها ويستطيل بها ويقول فعلت وفعلت فيورثه ذلك
العجب والكبر والفخر والاستطالة فيكون سبب هلاكه فاذا اراد الله بهذا
المسكين خيرا ابتلاه بامر يكسره به ويذل به عنقه ويصغر به نفسه عنده
وان اراد به غير ذلك خلاه وعجبه وكبره وهذا هو الخذلان الموجب لهلاكه
فان العارفين كلهم مجمعون على ان التوفيق ان لا يكلك الله الى نفسك والخذلان
ان يكلك الله الى نفسك فمن اراد الله به خيرا فتح له باب الذل والانكسار
ودوام الالجاء الى الله تعالى والافتقار اليه ورؤية عيوب نفسه وجهلها
وعدوانها وظلمها ومشاهدة فضل ربه واحسانه وجوده وبره
وغناه وحلمه فالعارف سائر الى الله بين هذين الجناحين لا يمكنه ان
يسير الا بهما فمتى فاته واحد منهما فهو كالطير الذي فقد احد جناحيه
قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه العارف يسير الى الله بين
مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم
في الحديث الصحيح حديث سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت
ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت
اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي فانه لا
يغفر الذنوب الا انت انا على عهدك ووعدك ما استطعت اي متمم على
التصديق بوعدك وعلى القيام بعهدك وهو امرك ونهيه وعهده اليه على
لسان رسوله فان ذلك بحسب الاستطاعة فخرج في قوله ابوء لك بنعمتك علي
وابوء بذنبي بين مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل فمشاهدة
المنة توجب له المحبة والحمد والشكر لولي النعم والاحسان ومطالعة عيب النفس
والعمل يوجب له الذل والانكسار والافتقار والتوبة في كل وقت وان لا
يرى لنفسه الا مفلسا واقرب باب دخل منه العبد باب الافلاس والذل فلا
يرى لنفسه حالا ولا مقاما ولا شيئا يتعلق به ولا وسيلة معينة بها يدخل
على الله من باب الافتقار الصرف والافلاس المحض دخول مكاسر الفقر والمسكنة

قلبه حتى وصلت تلك الكسرة الى سويدائه وانصدع وشملته الكسرة من كل جهاته
وشملة ضرورة الى ربه وكمال فاقته وفقره اليه وان في كل ذرة من ذراته الظاهرة
والباطنة فاقة تامة وضرورة كاملة الى ربه وانه ان خلي عنه طرفة عين هلك
وخسر خسارة لا تجبر الا ان يعود الله عليه ويتداركه برحمته فلا طريق الى الله
اقرب من العبودية ولا حجاب اغلظ من الدعوى والعبودية مدارها
على قاعدتين هما اصلها حب كامل وذل تام ومنشا هذين الاصلين عن ذلك
الاصلين المتقدمين وهما مشاهدة المنة التي تورث المحبة ومطالعة
عيب النفس والعمل الذي يورث الذل التام واذا كان العبد قد بنى
مسلوكه الى الله على هذين الاصلين لم يظفر به عدوه الا على غرة وغفلة
وما اسرع ما ينعشه الله ويجبره ويتداركه برحمته فصل
واتما يستقيم له هذا باستقامة قلبه وجوارحه فاستقامة القلب
بشيئين احدهما ان تكون محبة الله عنده تقدم عنده على جميع المحاب
فاذا تعارض حب الله وحب غيره سبق حب الله حب ما سواه
فترتب على ذلك مقتضاه وما اسهل هذا بالدعوى وما اصعبه بالفعل
فعند الامتحان يكرم المرء او يهان وما الذي ما يقدم العبد ما يحبه ويهواه
كبير او امير او شيخ او اهل على ما يحبه الله فهذا الذي يقدم محبة الله
في قلبه على جميع المحاب ولو كانت هي الحاكمة عليها الآمرة عليها وسنة الله
فيمن هذا شانه ان ينكد عليه محابه ويغصها عليه لا ينال شيئا منها
الا بنكد وتنغيص جزاء له على ايثار هواه وهو ما يعظم من الخلق
او يحبه او يقدم حبه على محبة الله وقد قضى الله عز وجل قضاء لا يرد
ولا يدفع ان من احب شيئا سوى الله عذب به ولا بد ان ما خاف غير
الله سلط عليه وان ما اشتغل بشيء كان شؤما عليه وما آثر غيره عليه
لم يبارك له فيه وما ارضى غير بسخط الله سخطه عليه ولا يبلى
الامر الشائع الذي يستقيم به القلب تعظيم الامر والنهي وهو ناشئ
عن تعظيم الآمر والناهي فان الله تعالى ذم من لا يعظمه ولا يعظم امره ونهيه

مقتضاه

العبودية

قلبه

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)